التقرير اليومي

٢٠٠٧/٧/١٨

مختارات من الصحف ومراكز الدراسات الدولية

روسيا ولعبتها المزدوجة في الشرق الأوسط

بقلم أودي غولان؛ أوميديا؛ ٢٠٠٧/٧/٤

تدير روسيا بظل حكم بوتين سياسة شرق أوسطية من وجهين: فهي تساعد الدول الراديكالية، كسوريا وإيران، في نفس الوقت الذي تحافظ فيه على علاقات مزدهرة مع الغرب. فإلى متى ستظل روسيا قادرة على ركوب هذه المخاطرة؟

بحسب تقرير لـــ "كومرسنت"، بدأت روسيا بتزويد سوريا بطائرات حربية متطورة. أما بشأن القضية النووية الإيرانية، فروسيا تتأرجح بين الإقتراب أكثر من الموقف الغربي وبين الدعم المستمر لإيران. وفي نفس الوقت، تحافظ روسيا على علاقات جيدة مع إسرائيل، بما في ذلك الحوار حول القضايا الأمنية والتعاون في الحرب على الإرهاب. ما الذي يحرك سياسة الشرق أوسطية لروسيا؟ وما هي عواقب هذه السياسة؟

السلاح لسوريا

ذكرت الـــ "كومرسنت" مؤخراً بأنّ روسيا قد بدأت بتزويد سوريا بخمس طائرات MIG-E31 وعدد غير معروف من طائرات MIG-29 المطورة. إنّ إتفاقية المليار دولار ستدعم بشكل بارز وهام سلاح الجو السوري. وينكر مصدر روسي عملية البيع، ولكن سواء أخذت هذه الإتفاقية طريقها أم لا، فقد كان هناك زيادة حقيقية وأساسية في مبيعات السلاح الروسي الى سوريا مؤخراً. وكان الإتحاد السوفياتي، عادةً، حليفاً ومزوداً رئيسياً للسلاح لسوريا.

إنّ صعود غورباتشوف للسلطة ومن ثم إنهيار الإتحاد السوفياتي قادا الى إنحدار في إمدادات الأسلحة وفي العلاقات الوثيقة بين البلدين. وقد أكدت روسيا على أنّ سوريا تدين لها بمبلغ ١٣,٤ مليار دولار من صفقات وإتفاقيات سابقة بين الإتحاد السوفياتي وسوريا، وبسبب عدم دفع هذا الدين، كانت روسيا ترفض بيع سوريا كمية أساسية من السلاح.

وفي العام ٢٠٠٥، وعقب زيارة بشار الأسد لروسيا، تم التوصل الى تسوية بحيث تقوم روسيا بإلغاء ٧٣% من مجموع الدين وتدفع سوريا الفرق، وهو ما يصل مجموعه الى ٣,٦ مليار دولار. وقد مهد هذا الإتفاق الطريق أمام تجديد العلاقات الإستراتيجية بين سوريا وروسيا، ووقع البلدان ٦ إتفاقيات تعاون، بما فيها إتفاقية في المجال العسكري.

لكن ظاهرياً، لا تزال روسيا تطالب بالدفعات لمبيعات الأسلحة وهي لا تميل لتقديم الأسلحة مجاناً أو تحت مصطلحات القرض الحر، كما كانت تفعل في الحقبة السوفياتية. أما سوريا، التي تعاني من ضيق مالي، فقد وجدت حلاً عبر تحالفها الإستراتيجي مع إيران. وبحسب التفاهمات بين البلدين، فقد تكون إيران تزود سوريا بالسلاح وتساعدها في تمويل عمليات شراء الأسلحة من روسيا.

وقد تكون تعمل سوريا كقناة لعمليات شراء الأسلحة من روسيا ومن مصادر أخرى عن طريق إيران الساعية لتجنب خطر العقوبات. وعمدت سوريا الى نقل أسلحة روسية الصنع الى حزب الله، بما فيها صواريخ "كورنيت" المضادة للدبابات، والتي تسببت بأضرار كبيرة للدبابات الإسرائيلية خلال حرب لبنان الثانية. وعقب إحتجاجات إسرائيلية، أعلنت روسيا بأنها ستشدد الرقابة على صادرات الأسلحة وبأنها ستهتم بمسألة عدم قيام الشارين الى تمرير الأسلحة لفريق ثالث.

المساعدة النووية لإيران

وقعت روسيا في العام ١٩٩٢ إتفاقية مع إيران لإنشاء مفاعل نووي في بوشهر. وعملت إسرائيل والولايات المتّحدة على مدى سنوات لحث روسيا على وقف مساعدتها النووية لإيران، مع تأكيدهما على أنّ إيران كانت تناضل للحصول على أسلحة نووية.

وأعلنت روسيا بأنها كانت معارضة لقيام إيران بتطوير أسلحة نووية، لكنها أصرّت على أنّ لإيران الحق بالتطوير النووي لأهداف سلمية. وقالت روسيا بانّ مساعدتها لإيران كانت محدودة بالنطاق المدني وتحت سيطرة وإشراف دولي. وإستمر الروس ببناء المفاعل في بوشهر، بالرغم أنّ المشروع قد إمتد لوقت أطول مما كان مخططاً له وتعرض لعمليات تأجيل عديدة.

إنّ المسائل المكشوفة والإيضاحات بشأن نشاط إيران على المسار الموازي المتعلق بشراء وتشغيل أجهزة الطرد لتخصيب اليورانيوم عبر العالم النووي الباكستاني، عبد القادر خان، تدعم الجدل الروسي بأنّ روسيا تقدم لإيران مساعدة نووية مدنية فقط. إلا أنّ هذه المساعدة، المشروعة بظل معاهدة الحد من الإنتشار النووي، تخدم إيران كغطاء لنشاط غير مشروع يتعلق بتطوير الأسلحة النووية وتدريب العلماء. أما ردات الفعل تجاه السياسية الروسية بخصوص القضية النووية الإيرانية، فتتسلسل من التصريحات القاسية تجاه إيران، تعليق المساعدات والإقتراب أكثر من الغرب (خاصة عندما تمثل الولايات المتّحدة وأوروبا جبهة مشتركة)، الى محاولة التوصل الى تسوية مع إيران والتخفيف من العقوبات. وقد إعترضت روسيا على تحويل القضية النووية الإيرانية الى مجلس الأمن الدولي وإعترضت لاحقاً على العقوبات ضد إيران. كما حاولت صياغة تسوية بحيث تقوم إيران بتخصيب اليورانيوم على الأراضي الروسية، إلا أنّ إيران رفضت الفكرة ومن ثم إقترحت أن يتم تخصيب بعضاً من اليورانيوم على الأرض الإيرانية.

وفي تشرين الثاني ٢٠٠٥، وقعت إيران وروسيا إتفاقية أسلحة بقيمة مليار دولار تتألف بشكل أولي من صواريخ أرض– جو مصممة لمساعدة إيران على الدفاع عن مواقعها النووية. وفي آذار ٢٠٠٧، علقت روسيا تزويدها مفاعل بوشهر بالوقود النووي، معللة ذلك بعدم دفع إيران المال، في حين أكد الإيرانيون على أنه لم يكن هناك من مشكلة مالية. وبحسب تقرير لـــ "نيويورك تايمز"، فقد أخبر وزير الخارجية الروسي مصادر أوروبية بأنّ روسيا لن تزود إيران بالوقود النووي لأسباب سياسية، لكنها ستصرح بأنّ السبب كان خلافاً مالياً. وفُسّر هذا الإجراء على أنه تحول في السياسة الروسية أساسه الإدراك بأنّ إيران كانت تناضل للحصول على الأسلحة النووية وبأنّ هذا الأمر يشكل

خطراً. ولا يزال من السابق لأوانه الإستنتاج ما إذا كان هذا الأمر يمثل تحولاً سياسياً حقيقياً وملموساً من جانب روسيا، أم أنه إجراء مؤقت تعقبه محاولة روسية أخرى لتجديد المساعدات الى إيران.

تحسن العلاقات مع إسرائيل

بعد فترة الحرب الباردة، وعندما كانت العلاقات السوفياتية– الإسرائيلية متسمة بالعدائية والتوتر، الأمر الذي أدى بعدد من المناسبات الى الوصول على حافة المواجهة العسكرية، حافظ الإتحاد السوفياتي على علاقات ديبلوماسية مع إسرائيل. أما العلاقات بين إسرائيل وروسيا، بظل حكم يلتسين، فكانت متسمة بالبراغماتية ولم يكن هناك وجود لأي من الأعراف أو الأفكار الإيديولوجية البالية التي تعود الى فترة الإتحاد السوفياتي. وخلال فترة حكم بوتين، تحسنت العلاقات الروسية– الإسرائيلية. كما وصل الحجم التجاري بين البلدين في العام ٢٠٠٦ الى ما مجموعه ١,٥ مليار دولار، بما في ذلك مشتريات النفط من روسيا.

أما بخصوص المليون مهاجر سوفياتي الذين يعيشون في إسرائيل، فإنهم يحافظون على روابط ثقافية وإقتصادية مع روسيا. وتكثف التعاون بين روسيا وإسرائيل بعد المذبحة التي إرتكبها إرهابيون شيشان في مدرسة في بيسلان العام ٢٠٠٤. ويحافظ البلدان على تعاون إستخباري وعلى حوار دائم على مستوى رفيع (مجلس الأمن القومي ووزارة الدفاع) حول قضايا إستراتيجية. كما إستهل البلدان أيضاً تدريبات مشتركة لوحدات مكافحة الإرهاب.

ومع ذلك، ولأنّ إسرائيل تعتبر المساعدات الروسية لإيران وسوريا تهديداً أمنياً، فقد أدى ذلك الى تأزم العلاقات. وحافظت إسرائيل على حوار مستمر مع روسيا وحاولت فرض الضغوط، بشكل رئيسي عبر الولايات المتّحدة، لحث روسيا على وقف مساعداتها، محققة بذلك نجاحاً جزئياً عندما تم تجميد إتفاق بيع صواريخ مطورة مضادة للطائرات في العام ٢٠٠٤.

وبحسب تقرير لـــ "أليكس فيشمان" في يديعوت أحرنوت (٨ حزيران)، فإنّ سوريا مهتمة بأنظمة صواريخ أرض– أرض ("إسكندر") وصواريخ أرض– جو (مطوّرة S300s)، إلا أنّ روسيا لم تفوّض بيع هذه الأنظمة لسوريا– حتى الآن على الأقل.

الدفاع الروسي: إقتصادي أم ديبلوماسي؟

بظل حكم نظام يلستين الضعيف، كانت هناك مزاعم تقول بأن أفرقاء روس معينين كانوا يساعدون إيران في المجال النووي أو يبيعونها السلاح من دون معرفة الرئيس. وبحسب تكهن آخر، وبسبب الضعف الروسي، كان الإعتبار الإقتصادي، وليس السياسي، هو الدافع الرئيس الذي وقف خلف تصدير الأسلحة الروسية والتكنولوجيا النووية الى الشرق الأوسط.

وبشكل متناقض، يقوم نظام بوتين المركزي بتبني إجراءات مما سيمنحه سيطرة كاملة على صناعات الأسلحة والصناعة النووية. فبوتين أسس **Rosoboroneksport**، الإتحاد الإقتصادي للحكومة، وحولها الى شركة إحتكارية في مجال تصدير الأسلحة الروسية، مخضعاً بذلك شركات أسلحة خاصة لسيطرة الإتحاد الإحتكاري. وفي عام ٢٠٠٤، تم تعيين سيرغي شيميزوف، وهو رجل **KGB** سابق وأحد أقرب المقربين من بوتين، كرئيس للإتحاد الإحتكاري.

وبحسب تقرير لـــ "ديفينس نيوز"، فإنّ بوتين سيوقع قريباً على مرسوم إصلاح صناعة الأسلحة، مركزاً مسألة تصدير السلاح وواضعاً إياها في أيدي إتحاد إحتكاري حكومي يدعى "تكنولوجيات روسيا" (**Russia Technologies**)، التي ستشمل **Rosoboroneksport** والتي سوف يرأسها شيميزوف مرة أخرى. وهذا الإجراء يذكر بتأميم شركة "غاز بروم" وإخضاع صناعة الغاز الروسي لسيطرة الكرملين،

كما يُذكَر بإجراء مشابه بخصوص الصناعة النووية الروسية. فالشركة النووية الروسية "Atomstroyexport" مخطط لها أن تصبح لاعباً رئيسياً في سوق الطاقة النووية اليقظة. فهي تبني مفاعلات نووية في سبع بلدان (بما فيها الصين، الهند وبلغاريا)، وذكر مؤخراً بأنها تفاوض على إنشاء مفاعلات نووية مع سلسلة من البلدان الأخرى، بما فيها مصر، المغرب والجزائر. وبحسب ما يقول سيرغي شماتكو، مدير المفاعل في بوشهر، لم تعد إيران تعتبر مربحة وبأنها تشكل فقط جزءاً من نشاط الشركة.

ومع القوة الإقتصادية المتنامية لروسيا بسبب إرتفاع أسعارالنفط، فقد إنخفضت أهمية الإعتبارات الإقتصادية في السياسة الروسية تجاه إيران وسوريا، بالرغم انها لم تختفِ بعد. أما بوتين، فيقوم بتوحيد سيطرته على صادرات الأسلحة والصادرات النووية وإستخدام ذلك كأداة ديبلوماسية، وهو مشابه للإستخدام الذي تمارسه روسيا في مجال صادرات الغاز للتأثير على الدول الأوروبية والضغط عليها.

الدافع الإسلامي

إنّ روسيا بلد مراقب في منظمة الدول الإسلامية، بالرغم أنّ عضوية المنظمة لا تشمل سوى الدول ذات الأكثرية المسلمة، في حين أنّ في روسيا ٢٠ مليون مسلم يشكلون ١٥% من عدد سكانها. أما العلاقات مع إيران فكان المقصود منها أيضاً الضمانة بأن لا تقوم إيران بمساعدة المتمردين الشيشان أو تحريك الأقليات المسلمة في روسيا. ومن المحتمل أن تكون الإعتبارات الداخلية بخصوص الأقليات المسلمة في روسيا تؤثر أيضاً على الديبلوماسية الروسية نحو إيران، سوريا وبلدان إسلامية أخرى.

المعارضة للولايات المتّحدة

تعالض روسيا الهيمنة الأميركية العالمية وتناضل لخلق عالم قوة متعدد الأقطاب. وتحاول روسيا، بظل حكم بوتين تحديداً، إستعادة وضعها السابق كقوة عظمى كما تسعى الى زيادة نفوذها العالمي من خلال تقديم المساعدات للبلدان المعارضة للولايات المتّحدة، كإيران، سوريا وفنزويلا– شافيز، التي تشتري الأسلحة من روسيا أيضاً. هذا من جهة.

ومع ذلك، ومن جهة أخرى، لا تزال روسيا معتمدة على الغرب، كما أنّ علاقاتها مع الولايات المتّحدة تتراوح بين التنافس والتعاون. فروسيا، غير قادرة على ركوب منافسة مع الولايات المتّحدة، على مستوى كبير، في الساحة العالمية أو في الشرق الأوسط، كما فعل الإتحاد السوفياتي خلال الحرب الباردة. أما الإجراءات الروسية في الشرق الأوسط، فقد تكون مصممة لتجميع وتكديس قطع المساومة ضد الغرب في ميادين أخرى أكثر أهمية لروسيا، تحديداً اوروبا الشرقية وآسيا الوسطى.

ومؤخراً، ومع التوتر الحاصل بين روسيا والولايات المتحدة، أعلن وزير الخارجية سيرغي لافروف بأنّ تركيب محطات أنظمة دفاع أميركية مضادة للصواريخ في الجمهورية التشيكية وبولندا (كما يسعى الى ذلك الرئيس بوش)، سوف يعيق الجهود المبذولة في معالجة القضية النووية الإيرانية.

مبادرة سياسية أم فقدان السيطرة؟

قبل بضعة أسابيع، تم الإحتفال بالذكرى الـ ٤٠ على حرب الأيام الستة، ولا يزال دور الإتحاد السوفياتي في هذه الحرب يلفه الغموض وعرضة لتفسيرات مختلفة. وبحسب تقرير في "نوفوستي"، فقد أكد بوريس أباكوف، وهو ديبلوماسي سوفياتي سابق كان قد شارك في

محادثات بين الإتحاد السوفياتي ومصر في الأيام التي سبقت الحرب، بأنّ الإتحاد السوفياتي كان معارضاً للحرب كما كان معارضاً لقيام مصر بالهجوم أولاً. وبذلك، تكون روسيا قد قيّدت يدي ناصر وسهلت الهجوم الإستباقي الإسرائيلي.

وفي كتابهما **Foxbats Over Dimona**، أكد غيدوين ريميز وإيزابيللا غينور على أنّ الإتحاد السوفياتي لعب دوراً في حرب ١٩٦٧ أكثر نشاطاً وفعالية بكثير مما كان معروفاً سابقاً، بما في ذلك طيران الإستطلاع من قِبَل طائرات روسية فوق المفاعل النووي في "ديمونا" وتشجيع مصر على مهاجمة إسرائيل.

وبعيداً عن صعوبة فك غموض السياسة الروسية، فإنّ الدرس الذي يمكن تعلّمه من حرب الأيام الستة هو أنه حتى لو كانت روسيا لا تزمع إثارة حرب في الشرق الأوسط، فإنّ المساعدات التي تقدمها لقوى راديكالية، مصر وسوريا في نفس الوقت سابقاً، وحالياً سوريا وإيران، فإنّ ذلك، وكما هو متوقع، يمكن أن يقود هذه الدول التي تنال الدعم والمساعدات الروسية، الى تحركات خطيرة ومغامرة لن تكون روسيا قادرة على كبحها.